

ذلك إلى بعد هولاء عن الإسلام، وقرّبهم من الأفكار الغربية بشكل مشوش، فحجزوا عن فهم أفكار الغرب وابتعدوا عن الإسلام. فكان لذلك أثر كبير في إهمال الاختراعات والعلوم والصناعات، وأثر كبير في سوء فهم الإسلام أدى إلى تحويل الأمة إلى هذه المجموعة المتناقضة في الأفكار وإلى عدم استطاعة الدولة أن تجزّم في فكر معين، كما أدى إلى إعراس الأمة عن الأخذ بوسائل الرقي المادي من العلوم والاختراعات والصناعات، فضعت ضعفاً ظاهراً حتى أصبحت غير قادرة على الوقوف، وعاجزة عن حماية نفسها، فكان من جراء هذا الضعف أن أخذ أعداء الإسلام يقطعون أجزاء الدولة الإسلامية جزءاً جزءاً وهي عاجزة مستسلمة، وأخذ الغزو التبشيري باسم العلم يتغلغل في كيان الأمة الداخلي يفرق صفوفها، ويشعل نار الفتنة داخل البلاد الإسلامية. وتحت الحركات المتعددة التي تخدم جسم الدولة، وظهرت فكرة القومية، في جميع أجزاء الدولة، في البلقان، وتركيا، والبلاد العربية، وأرمينيا، وكردستان، وما أن جاءت سنة ١٩١٤م حتى كانت الدولة على شفا حرف هار، فدخلت الحرب العالمية الأولى وخرجت منها مهزومة، فقضي عليها. وبذلك ذهبت دولة الإسلام وتحقق للغرب الحلم الذي كان يذاعبهم قروناً طويلة، وهو القضاء على الدولة الإسلامية للقضاء على الإسلام. وبذهاب الدولة الإسلامية صار الحكم في جميع البلاد الإسلامية غير إسلامي، وصار المسلمون يعيشون تحت راية غير إسلامية، فاحتل أمرهم، وساء حالهم، وصاروا يعيشون في نظام الكفر، ويتحكمون بأحكام الكفر.

آثار الغزو التبشيري

كانت هذه الغزوات التبشيرية هي الطلائع التي مهدت الطريق للاستعمار الأوروبي ليفتح العالم الإسلامي فتحاً سياسياً بعد أن فتحه فتحاً ثقافياً. وبعد أن كان المسلمون حملة القيادة الفكرية الإسلامية للغرب حين فتحوا استانبول والبلقان وادخلوا الإسلام في أوروبا، صارت البلاد الإسلامية هدفاً للغرب، يحمل قيادته الفكرية إليها، ومسرحاً لحضارته ومفاهيمه عن الحياة، يذيعها بشق الوسائل تحت اسم العلم والإنسانية والتبشير الديني. ولم يكتف بحمل حضارته ومفاهيمه، ولكنه كان يطلع بالحضارة الإسلامية ومفاهيم الإسلام عن الحياة حين كان يوجه حملاته ضد الإسلام، فأثر ذلك في الفقة المظفة، وفي رجال السياسة، بل في حملة الثقافة الإسلامية، وفي جبهة المسلمين.

أما الفقة المظفة، فإن الاستعمار في مدارسه التبشيرية قبل الاحتلال، وفي للدارس كلها بعد الاحتلال قد وضع بنفسه مناهج التعليم والثقافة على أسس فلسفته هو، وحضارته هو، ومفاهيمه الخاصة عن الحياة. ثم جعل الشخصية الغربية الأسس الذي تنتزع منه الثقافة التي يظفها بها، كما جعل تاريخه ولغضته وبينته المصدر الأصلي لما تحشو به عقولنا. ولم يكتف بذلك، بل تدخل في تفصيلات المناهج حتى لا تخرج جزئية من جزئياتها عن اليدا العام الذي هو فلسفته وحضارته. وكان ذلك عاماً حتى في دروس الدين الإسلامي والتاريخ الإسلامي، فإن مناهجهما بنيت على الأسس الغربي، وعلى حسب مفاهيم الغرب، فالدين الإسلامي يعلم في للدارس الإسلامية

مادة روحية حُشِّقَتْ، كما هو مفهوم الغرب عن الدين، وهو يعلم على وجه بعيد جداً عن الحياة وعن حقيقة مفاهيمه عنها، فحياة الرسول ﷺ تدرس لأبنائنا منقطعة الصلة عن النبوة والرسالة وتدرس كما تدرس حياة نابليون أو بسمارك مثلاً، ولا تثير في نفوسهم أي مشاعر أو أفكار. ومادة العبادات والأخلاق، وهي التي يشتمل عليها منهاج الدين، تعطى من وجهة النظر النفعية، وبذلك صار تعليم الدين الإسلامي أيضاً سائراً وفق المفاهيم الغربية. والتاريخ الإسلامي تعلم فيه للتألب التي يترعها سوء القصد وسوء الفهم، ويوضع في إطار أسود تحت اسم النزاهة التاريخية والبحث العلمي. ويزيد الطين بلة، أنه ثبت من المسلمين المثقفين نابتة تعلم التاريخ وتؤلف فيه على الأسلوب والنهج التبشيري. وهكذا جمع البرامج قد وضعت كلها على أساس الفلسفة الغربية، ووفق مناهج الغرب، وبذلك صار أكثر للتقنين أبناء الثقافة الغربية وتلاميذها. وصاروا يستمرلون هذه الثقافة وينعشونها، ويتحنون في الحياة طبق مفاهيمها، حتى صار الكثيرون منهم يستكرون الثقافة الإسلامية إذا تناقضت مع الثقافة الغربية، وصاروا مثقفين ثقافة غربية لتحكم فيهم وجهة نظر الغرب وقد اخضعوا لهذه الثقافة الغربية إخلاصاً تاماً حملهم على تقديس الأجنبي وحمل حضارته، وانطبع كثيرون منهم بطابعه، وصاروا يمتنون الإسلام والثقافة الإسلامية، كما يمتننه الغربي، ويحملون للإسلام وللثقافة الإسلامية العداء الشيم كما يحملها الغربي، وصاروا يعتقدون أن الإسلام والثقافة الإسلامية هي سبب تأخر المسلمين كما أوحى إليهم أن يعتقدوا ذلك. وبهذا نبحت الحملات التبشيرية لجأحاً منقطع النظر حين ضمت إليها القوة الثقافية من المسلمين وجعلتها في صفوفها تحارب الإسلام والثقافة الإسلامية.

بلاد الإقليم - أن تنهض بالأعباء السياسية وغير السياسية التي تتطلبها الحياة الصحيحة.

ولم يكتفوا بذلك كله، بل جعلوا مركز تنبهم الفردي مصالحهم الفردية، ومركز تنبهم العام هو الدول الأجنبية، وبذلك فقدوا مركز التنبه الطبيعي - وهو مبدؤهم - ويفقداهم مركز التنبه الطبيعي، فقدوا إمكانية نجاح مساعيهم، مهما أخلصوا فيه وبذلوا من مجهود. ولذلك صارت جميع الحركات السياسية حركات عقيمة، وصارت كل نقطة في الأمة تتحول إلى حركة مضطربة متناقضة تشبه حركة المذبذب تنتهي بالخمود واليأس والاستسلام. وذلك لأن قادة الحركات السياسية فقدوا مركز تنبهم الطبيعي، فصار طبيعياً أن تفقد الأمة هذا المركز التنبهي لها. وهكذا صممت أفكار السياسيين بالأراء للغلوطة، كما صممت بالمبادئ الأجنبية، إذ قامت في البلاد الإسلامية حركات باسم القومية والاشتراكية، وباسم الوطنية والشيوعية، وباسم الدين الروحي والأخلاق، وباسم التعليم والإرشاد، وكانت هذه الحركات ضغاً على إبالة، وعقدة جديدة في المجتمع تضاف إلى العقد الأخرى التي يبرز تحت عيائها. وكانت تبحتها الإحفاق واللبوزان حول نفسها، لأنها سارت وفق مفاهيم الحضارة الغربية، متأثرة بالغزو التبشيري، ووجهت الأمة إلى المفاهيم الغربية عن الحياة برمتها، فضلاً عن أنها غسست عواطف الأمة للتأجحة فيما لا ينفع ولا يأتي بخير. ومكنت للاستعمار من التركيز والبقاء. وهكذا كان نجاح الغزو التبشيري نجاحاً منقطع النظير.